تقديم، محمد فرحات.

ما هو السطر الأول من ذاكرتي..؟! دعني أفكر قليلًا من فضلك...آه، كنت طفلًا لم يتعد الثلاث سنوات، أنام مستلقيًا على مرتبة قطنية، وفوقي قطعة من القماش تحول دون تكوم أسراب الذباب على وجهي، وجسدي، ملقًا في أحد زوايا الدار، أحوال جاهدًا أن أكشف وجهي، فأفلح في خلق فسحة أرى منها سقف الدار الخشبي، وأعواد الحطب المتراصة، وتلك الكوة التي يدخل منها ضوء الشمس، أرى من خلالها زرقة السماء، هذا أول مشهد تراءى لعيني الغريرة، ولكني لم أكن على ما يرام، فكل حين تأتي أمي لتكشف عن جسدي وتتمتم بأدعية وآيات من القرآن والرقى، وربما بللت وجهي بدمعة أو أكثر، سرعان ما تجففها، وتأتي عمتي، وتضع في يدي قرصة ذرة بالسكر، أنحت منها بسنتين نبتتا في فمي، ما يستطيعه طفل تعلم الأكل على كره بعد مأساته الأولى من انفصامه عن ثدي أمه، ثم تضعني في سبت من الخوص، كنا نضع فيه خبزة الأسبوع، وتذهب بي إلى البندر، فقد كنت مريضًا جدًا ومهددًا بالموت من جراء الالتهاب الرئوي، والذي أعاني من آثاره وأنا أحدثك الآن.

"من رواية المحرر "محمد فرحات" غير المنشورة "اسمي نجيب سرور.".

بابات قمر الدين محمد بن حنتيال

في خيال الظل وظل الخيال!

"وما جدل الأقوام إلا تعلة

مصورة من باطل متوهم"

-أبو العلاء-

"غريب قد طرأ لا أعرف شخصه فاصبر

عليه إلى آخر مقامته لعله ينبئ"

-الهمداني-

"له نار تشب على يفاع

إذا النيران ألبست القناعا"

أبو الفتح-الهمداني

"جُذبت للسر قبل ما حضرا

في دار دارا وإيوان كسرى"

أبو الفتح

"أنا طور من النبيط

وطورًا من العرب"

أبو الفتح

الأقنعة

1-بابة المسخرة..!

المعلم:

سيداتي سادتي..

مجت الأسماع ما يُلقى إليها..

من فنون القول صبحًا ومساء..

كالأغاني والطقاطيق الخليعة..

وتقاسيم الخطب!

سيداتي سادتي

ملت الأسماع ما يقذف فيها..

من فنون القول صبحًا ومساء..

سئِمت هذه دور المسارح..

سئِمت هذه دور الخيالة..

محال الليل التي تدمن في الليل اللعب!

سيداتي سادتي..

سئِم الناسُ الصحف..

تصفع الإنسان صبحًا ومساء..

بالعناوين الكبيرة..

لم نعد نقرأ غير الوفيات..

رغم أن الوفيات..

مثل كل الصفحات..

ليس تخلو من رياء وكذب!

سيداتي سادتي..

لم يعد غير الكتب..

غير أن الناس لا تلقي إليها أي بال..

ربما لولا بقايا من كسوف..

عَرَجَ المرء عليها ثم بال..

ما الحكاية؟!

ربما قرأ الناس الكفاية..

ربما كتب الناس الكفاية..

رغم هذا ثَمّ ناسٌ يكتبون..

بل ويبدو أنهم لا يتعبون..

أتُراهم يقرأون؟!

ولهذا سيداتي سادتي..

نرجع اليوم إلى الشكل القديم..

لخيال الظل أو ظل الخيال..

ربما نلقى جديدًا..

يعلم اليوم السامعُ علاجًا للملل..

نبدأ اليوم بحفنة..

من تلال الفلسفة..

يا ترى ما الفلسفة..؟!

"يدخل فيلسوف"

الفيلسوف: أنا أقول لك يا مبارك الفلسفة يعني إيه!

المعلم: حضرتك مين الأول..؟!

الفيلسوف: فيلسوف..أنا فيلسوف..

نشرت مجلة "الناقد" بتاريخ الاثنين 31 أكتوبر سنة 1927 تعريفًا للفلسفة من غير إمضاء للأسف لا أعتقد أنها سُبقت إليه..

المعلم: ماذا قالت المجلة؟

الفيلسوف: علم الفلسفة هو أوسع العلوم وأسهلها..ولكي تكون فيلسوفًا يجب أن تقول كلامًا سخيفًا وأن تسخف كل رأي تسمعه. فإذا قلت لأنسان"إنت ابن كلب" فهذه تُدعى قباحة وقلة حيا. أما إذا قلت له"إنت ابن قرد" فهذه تُدعى فلسفة. وإذا قال لك"أنا سوف أتزوج" فقلت له"مبروك" فهذه ليست فلسفة، أما إذا قلت له باختصار وسخرية: إن الزواج رابطة عتيقة من آثار المدرسة القديمة التي تؤلف بين العناصر المتلازمة في ناسوت النفس البشرية التي تتغلغل إلى أعماق ما في أعلى مراتب الإنسانية من تموجات أثيرية

ترتفع إلى طبقات الهيولي في أشكال متباينة وأنواع مختلفة حتى تحلق على أجنحة الخيال المنبعث من الاجتماعيات المنتشرة في طبقات معينة ممتدة إلى ما وراء الأرواح في حصاد القلوب الكامنة بين سطور أسرار كمالات الكون الأزلية المودعة في صحف خفايا الجوانح الروحانية اللاهوتية فإنها لا تفتأ تتصادم وتتدافع وتتطور بمختلف التطورات العجيبة حتى تصل إل مركز القوة الفردية "وهناك يكون البكاء وصرير الأسنان" فأنت فيلسوف وابن فيلسوف!

المعلم: هذا كلام جميل"ولكن ما معناه؟!"

الفيلسوف: لا معنى له على الإطلاق..

المعلم: انتظر سيادتك بالخارج قليلًا..فقد نحتاج إليك..وإن كنا في حاجة إلى شئ من الترفيه بعد هذه الدوامة التي تجلب الصداع..فليدخل المنولوجيست..

"يدخل"

المنولوجيست:

في قهوة الفن اتقدم

وتعا اتعلم

تلقى اللى سارح ومبلم

واللي وخمان..

واللي مسطل ومحلق

واللي مبحلق

واللي معتم ومغلق

واللي نعسان

واللي تلاقيه قاعد فارش

وبيتناقش

واللي بيضحك ويهارش

قال جنتلمان

واللي بيكتب ويألف

حاجة تخوف

ليله نهاره بيخطرف

أشكال والوان

واللي عينيه زايغه ومايحه

جايه ورايحه

وريالته على صدره سايحه

عاشق ولهان

وشلة النقاد يا لطيف

نازله تخريف

فلان تقيل، وفلان سخيف

وفلان فنان

وفلان سقط وفلان ناجح

وفلان قارح

وتلاته زفت..بتتقاوح

وفلان خيبان..

معرض وحاوي كل الأشكال..

من هلس وعال

فن وأدب وطرب وخيال

وجنان في جنان.

"يخرج"

المعلم: سيداتي سادتي..

لمَ قلنا بابة..

بدل الباب فأنثنا المذكر؟

التلميذ: لم يعد ثمة فرق بين أنثى وذكر!

المعلم: -ربما- لكن هذاسيكون

محض تكرارٍ لواقع..

غير خافٍ عن أحد؟!

التلميذ: أهو ترديد لتقليد قديم..

في معاريج اللغة؟!

المعلم: عندما كان القديم..

محدثًا..كان ابن دانيال يسمي الباب بابة..

وكترديد لتقليد قديم كان ترديدًا لأقدم!

ما الدواعي يا ترى من خلف تأنيث المذكر..

بل وتذكير المؤنث؟!

فلنضف أن الذكر..

غير المذكر..

ذاك مخلوق ذكر..

بينما الآخر مجعول ذكرا!

فهي مفعول به!

وكذاك الأمر في مجرى القياس..

المؤنث..

ليس بالخلقة أنثى..

هو مفعول بها!

هكذا ندخل باب"المسخرة"

وهي تعني"ماسكرة"

حفلة بالأقنعة..

هكذا تلعب أنثى..

سادتي دور الذكر..

هكذا يا سيداتي والذكر..

دور أنثى!

أبو الفتح: أقضي العمر تشبيهًا

على الناس وتمويهًا

أرى الأيام لا تبقي

على حال فأحكيها

فيوم شرها فيّ

ويوم شرتي فيها.

2-بابة طاقية الإخفاء.

المعلم:

هكذا ياسيداتي سادتي

يصبح الواحد ظلًا وخيالًا..

يصبح اثنين معًا..خلف القناع..

أي خيال الظل أو ظل الخيال..

ظل أنثى هو بالنحو مذكر

وخيال الظل"باللهو" مؤنث..

فهو في الحالين خنثى..أو (ثكر)..

لا بأنثى أو ذكر!

هو جنس يتخفى..

ولأمر ما ..بجنس!

ما الذي يدفع جنسًا للتخفي..

أهو إحساس بذنب..

يا ترى أم طبع ذئب؟!

الشاعر: أرى الحي جنسًا ظل يشمل عالمي

بأنواعه لا بورك النوع والجنسُ

المعلم: أي جنس كان يقصد..

شيخنا القديس في منفى المعرة..

والعمى..؟!

المونلوجست:

الحب ده حاكم وحاكم جاهل

يقتل ويأسر في المره والراجل

جاب الشريفة تحت رجل السافل

وجمع المسلم على اليهوديه

داير بكاسه والأمم عطشانه

يستنظر السهران على السهرانه

يسقي اللي في المسجد وأهل الحانه

ويبور الأديان على الأنبيا!

المعلم" أتغزل الشعراء حقًا بالمذكر..

أم كان من خلف الغزل..

مقصد الهروب من المدبر والمقدر..؟!

أولى بهم غزل المذكر وهو أنثى..

من أن يهيموا بالمؤنث وهو في الحق الذكر..

فيم الشذوذ إذن..؟!

إذا كان الشذوذ عن الشذوذ؟

الشاعر: أما قاله الكوفي في صفة الزهد

كما قاله الحكمي في صفة الخمر؟!

المعلم: كيف النفي الضدان قديس وداعر..

وتعانقا في المنتهى..

لو لم يكن غزل المذكر..محض حيلة..

أو قناع للتخفي؟!

أو ربما كان الغزل..

حتى بأوصاف المذكر..

نوعًا من الإيحاء بالتشبيه..

والرمز المعمى..لحبيب

لا يجوز البوح باسمه..

أم كان في الظاهر حبًا للمذكر

وهو في الباطن حب للبكارة..

للطهارة..

في عصور أصبح الداعر فيها..

من يشذ عن الدعارة..

مثلما أصبح زنديقًا ..طريدًا..

من مضى يصرخ في الناس أفيقوا..

أصبح الدين تجارة..

شاعر: بني أمية هبوا من رقادكم

إن الخليفة داوود بن يعقوب

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا

خليفة الله بين الزق والعود!

المعلم: كان يعقوب بن داوود إشارة..

لحظتُ جنسًا تخفى..

وسطا ليلًا على كل إمارة..

ولهذا دفع الشاعر رأسه!

أبو الفتح: إن لله عبادًا

أخذوا العمر خليطًا

فهم يمسون أعرابًا

ويضحوْن نبيطًا!

المعلم: سيداتي سادتي..

منهج التغريب قبل بريخت..

عندنا منذ قرون!

ربما منذ قرونٍ وقرون..

فأبو الهول برأس الآدمي..

وعلى جسمٍ لوحش..

هو تمثال لفن الأقنعة..

للتنكر..

والتخيل!

فأبو الهول أبو المسرح أيضًا.

التلميذ: فلماذا قيل بأن التغريب بريختي الأصل..

والمسرح في الأصل التغريب؟

أين إذن موروث المصريين..

في فن المسرح من قبل الموروث اليوناني؟!

المعلم: مخبوء في وكر اللص..

المولع بالتقليد وبالتشبيه..

والنسخ ونسخ النسخ..

والهارب خلف الأقنعة الظلية

من قبل بناء الهرم الأكبر..

وهنا نسأل من بابة غرابه..

أو بابة تغريب أو بوابه..

لفضول يتخطى بعد الهرم الزمني..

في الأزمنة الخالية المغلوطه..

هل يمكن أن تبدأ في الأرض حضاره..

لا في مصر فقط..

وبتمثال للتشبيه..

كأبي الهول؟!

ما لم يكن التشبيه

قد سبق إلى البدأ التمثال..

والتمثال أليس هو التمثيل..

فلماذا تبدأ بالتشبيه حضارة..؟!

هذا يعني أن التشبيه..

كان نهايتها لا البدء..

فيما زعم جميعُ القوادين..

ولأمر في نفس المتنكر -يعقوب-

ما الأقنعة على جدران معابد مصر..

إلا رمز بالنور وبالظل..

لخيال الظل..وظل خيال..

ولأهل الكهف..

ولكهف الحالم أفلاطون..

ولصندوق الدنيا..

ولشاشة دار خياله..

وليونس في جوف الحوت..

ولتابوتك يا أوزير..

ولتمثيلية آلامك..

يا أوَهُ آخر مقتول أو مصلوب..

والتمثيلية في الأصل دراما التتويـج..

الشاعر: توجتني الفتيا فتوجني غدا

تاجًا بإعفائي من التتويـج..

المعلم: وإذا كان التشبيه هو التتويـج..

والتتويـج هو التشبيه..

فأبو الهول نذير وبشير..

أعني عبره..

العبرة عبرية؟!

لا للتأنيث..ولكن للتذكير..

لكن كيف تكون العبره..

ما لم تسبقها العبرات..

والعبرات لما في الماضي من حسرات..

والحسرات بلغة الأسلاف ملاحم..

قبل الهرم بآلاف الأهرامات..

لكن الملحمة انقلبت تمثيلية..

والآلام انقلبت أعيادًا ترفيهيه..

منذ التتويـج..

مثلًا كان الرواي يحكي..

وهنا ثم ممثل..

"يلعب" دور الراوي..

كان الأسلاف يموتون..

لكن الراوي يعطيهم بالقيثارة..

زاد حياة!

وهنا الأسلاف يموتون..

لكن تلعبهم أشبح الأشباه..

ما بين خيال الظل وظل خيال!

فإذا كان التغريب هو المسرح ذاته..

وإذا كان المسرح يعني "التغريب"

فعلى من يقع التعذيب؟

أعلى الأصل؟

هذا يعني في الأصل..

مع إثبات بديل!

يعني القتل!

أعلى الصورة؟!

هذا يعني إثبات الأصل ونفي الصوره..

يعني أجبار المقتول..

وهو محال!

إللي شاهد؟!

وهو هنا المتفرج..

هذا يعني نفي الإثبات..

ليظل السر مصونًا..

في أعماق البئر..

يعني تغريب الأصل وتقريب الصورة..

في وقت واحد..

دا"الإيحاء"

يعني الإلغاز..الإغراب..

حتى لا يفهم شيئًا..

مما يجري فوق الخشبة..

أو يجري في الكالوس..

أو يجري في الصالة..!

أو يجري في المذبح..

التغريب إذن بابات..

عدد البابات ثلاث!

فارسم تاجًا للوجهين..

يصبح مينا بعد المكياج..

طبق الأصل..

قالوا فرس البحر..

-فرس البحر حنانك ياطيبة..

يا طروداة-

عض الملك فمات..

فليرحمه الله..

فرس النهر حصانك يا طرواده..

وإذا كان المتحدث مجنون..

فعلى المستمعين العقل..

وهنا نسأل..

عض الفرس الملك فمات..

أم مات الملك بغير العض..

أم قبل العض وبعد العض؟!

يُسأل عن هذا حلاق الصحة!

المونولوجست: دقوا الطبول وكاسات مشخللة

كبيرة رضعت بالخيبة الجزم..

وفقروا كبتوع الزارفي صخب

وهبهبوا ككلاب الكفر في الظلم

ثم انثنوا فكلواها وهي والعه

يا لاطشي العبى أدرك خاطف الجزم..

سبحان من خلق الإنسان من علق

ثم اجتباه بعين حلوة وفمٍ

ولم يقل مرة هزوا عجبًا لكم

إذ تذكروني وصيحوا واتلهوا بدم

طبل وزمر وتدجيل وأضرحة

باسم الديانة يتضاحك الأمم

هل في الكتاب ذقون شعرها سلب

كانت تزمر للرحمن في الحرم

وهل به عن خدود المصطفى خبر

كما روى شُرم عن شيخه بُرم

وهل به من ضريح ستره قصب

يطوف من حوله الساعون كالصنم

أو القرابين أشكالًا تقدمها

باسم النذور لبطن السادن النهِم

استغفر الله من قول بلا عمل

ومن مظاهرة تمشي بلا علم!

أبو الفتح: ويحك هذا الزمان زور

فلا يغرنك الغرور

برق وحزق وكل وأطرق

واسرق وطبلق لمن تزور

لا تلتزم حالة ولكن

در بالليالي كما تدور..

المعلم: قلتَ إن التغريب هو المسرح..

وإذا كان التغريب هو المسرح ذاته..

فعلينا أن نبحث عن منهج..

عن رابعة البابات..

والبعد الرابع في المسرح..

وهو خيال الظل..

أعني تغريب التغريب..

نفس المسح ذاته..

لكن نفي النفي هو الإثبات..

هل يعني نفي المسرح إثبات المسرح؟!

لا..بل يعني النفي هنا إثبات النفي..

ما دام النفي هناك..

نفي الإثبات!

ولهذا كرهت مصر المسرح

فعليها أن تنهيه

ما دام الوجه قفا..

فالأقفية وجوه..

والصفح هنا وهناك سيان..

الشاعر: خذا وجه هرش أو قفاها فإنما

كلا جانبي هرش لهن طريق

أبو الفتح: توشحت أبا الفتح

بهذا السيف مختالًا

فما تصنع بالسيف

إذا لم تك قتالًا

فضع ما أنت خليت

به سيفك خلخالًا!

المعلم: والآن..إليكم أيها السادة والسيدات..حديثًا..

جرى بين ابن القارح والجني في جنة العفاريت..

برسالة الغفران..

"يظهران على الشاشة"

الخيتعور: ما جاء بك يا أنسي..

ابن القارح: سمعت أنكم جن مؤمن فجئت ألتمس عندكم أخبار الجنان. وما لعله يوجد لديكم من أسفار المردة.

الخيتعور:لقد أصبت العالم ببجدة الأمر فسل عما بدا لك.

ابن القارح: ما اسمك أيها الشيخ؟

الخيتعور: أنا الخيتعور أحد بني الشيصبان، ولسنا من ولد إبليس ولكنا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم صلى الله عليه...

ابن القارح: أخبرني عن أشعار الجن، فقد جمع منها المعروف بالمرزُباني قطعة صالحة.

الخيتعور: إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه، وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض؟ وإنما لهم خمسة عشر جنسًا من الموزون قل ما يعدوها القائلون، وإن لنا لالآف أوزان ما سمع بها الإنس.

ابن القارح: ما كنيتك لأكرمك بالتكنية..

الخيتعور: أبو هدرش!

ابن القارح: يا أبا هدرش، مالي أراك أشيب وأهل الجنة شباب؟

الخيتعور: إن الإنس أُكرمُوا بذلك وحرمناهُ، لأنا أُعطينا الحُولة(القدرة على التحول) في الدار الماضية، فكان أحدنا إن شاء صار حية رقشاء، وإن شاء صار عُصفورا، وإن شاء صار حمامة ، فمُنعنا التصور في الدار الآخرة، وتُركنا على خلقنا لا نتغيرُ، وعُوض بنو آدم كونهم فيما حسُن من الصور. وكان قائلُ الإنس يقُولُ في الدار الذاهبة: أُعطينا الحيلة وأُعطى الجن الحوُلة. ولقد لقيت من بني آدم شرًا، ولقُوا مني كذلك. دخلت مرة دار أُناس أُريد أن اصرع فتاة لهم، فتصورتُ في صورة عضل .أي جُرذ .فدعوا لي (السنانير)فلما أرهقتني تحولت صِلًا أرقم، ودخلتُ في (جذع) هناك. فلما علموا ذلك كشفوه عني. فلما خفتُ القتل صرتُ ريحا هفافة فلحقتُ بخشب الغرفة، ونقضُوا تلك الخُشُب و(الجذوع) فلم يروا شيئًا. فجعلوا يقولون: ليس ها هنا مكان يُمكنُ أن يستتر فيه. فبينما هُم يتذاكرون ذلك، عمدتُ لفتاتهم في الكله (الناموسية)، فلما رأتني

أصابها الصرعُ، واجتمع أهلُها من كُل أوب، وجمعوا لها الرقاة، وجاءُوا بالأطبة وبذلوا المُنفسات، فما ترك راق رُقية إلا عرضها على وأنا لا أُجيبُ؛ فلما أصابها الحمامُ طلبت لي سواها صاحبة.

فتارة أنا صل في نكارته

وربما أبصرتني العين عصفورًا

نلوح للإنس حولًا أو ذوي عورٍ

ولم نكن قطُ لا حولًا ولا عورًا

ابن القارح: لله درك يا أبا هدرش...فكيف ألسنتكم؟ أيكون فيكُم عرب لا يفهمون عن الروم، وروم لا يفهمون عن العرب، كما نجدُ في أجيال الإنس؟

الخيتعور: هيهات أيها المرحوم! إنا أهلُ ذكاء وفطن، ولابُد لأحدنا أن يكون عارفا بجميع الألسن الإنسية، ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفه الأنيسُ.

أبو الفتح: أنا حالي مع الزمان

كحالي مع النسب

نسبي مع الزمان

إذا ساحه أنقلب

أنا أمسي من النبيط

وأضحى من العرب!

المعلم: والآن ترون على الشاشة..

رجلًا أحدب!

لكن هذا الأحدب كيف يراكم؟!

الأحدب: لست أرى أحدًا منهم..

المعلم: الصالة مطفأة النور..

ولذلك تبدون جميعًا كتلة ظلمه..

فلنطفئ الصالة

أترى أحدًا؟

الأحدب: ما في الصالة حتى ظل أحد!

بل حتى الصالة لستُ أراها!

المعلم: بينكما الشاشة نور..

وترون الأحدب، لكن الأحدب ليس يراكم!

أترون الأحدب حقًا..

أم ظل الأحدب..

أم هذا ظل خيال..

فهل خيال الظل..

ظل الظل؟!

ماذا يمكن أن يدعى بطريقة نفي النفي..

هو ظل الظل النور..

هل نفي الزيف حقيقة؟!

لكن مهلًا...

هل هذا ظل للأحدب حقًا؟!

الأحدب: لست بأحدب..

ها أنذا ممشوق القامة..

فوق الشاشة!

المعلم: أتصدق هذهِ أم تلك..

أم نلجأ للشك المفقر للشك؟

الأحدب: ها أنذا أصبحت طويلًا وهزيلًا

ها أنذا أصبحت قصيرًا وبدينا..

ها أنذا كالدودة أزحف..

ها أنذا في الجو أطير..

المعلم: يفعل هذا كله..

رجل أحدب؟!

الأحدب: يفعل من خلف الشاشة..

أم من خلف ستار أسود..

وبلغة المسرح..من خلف قناع..

والأقنعة بعض خيال الظل..

أكثر منها في كل مروج الفن..

وبهذا أفعل ما يعجز عنه الإعجاز..

في التغريب وفي الإلغاز.

الشاعر: أأيامنا ما كنتِ إلا مواهبا..

وكنت بإسعاف الحبيب حبائبا

سنغرب تجديدًا لعهدك في البكا

فما كنتِ في الأيام إلا غرائبا!

المعلم: الإغراب تغريب الإغراب..

والتغريب بإغراب التغريب..

هذا منهجنا في التمثيل..

ما دام العرب الأنباط..

والأنباط عرب..

الشاعر: أنت عندي عربي

ليس في ذاك كلام

شعرساقيك وفخذيك

خذامى وثمام

وقذى عينيك صمغ

ونواصيك ثغام

وضلوع الصدر

شلوك ينع وبشام

لو تحركت كذا

لانجفلت منك النعام

وظباء راتعات

ويرابيع عظام

وحمام يتغنى

حبذا ذاك الحمام

أنا ما ذنبي

لأن كذبني الأنام

وقفا يحلف

ما أن عرفت

فيك الكرام

ثم قالوا هاشمي

من بني الأنباطام

كذبوا ما أنت

إلا عربي والسلام!

المعلم: لكن أرجو ألا ننس الأحدب..

أرنا مثلًا من ألعابك..

الأحدب: ومن المثل بفتح الثاء التمثيل..

وبضم الثاء!

المعلم: أتعرف أيضًا تبديل الأحرف؟!

الأحدب: التبديل كما التقليد كما التمثيل..

يعني تشبيه الأطرش.

والناس جميعًا محض حروف..

تلضم في أسماء..

تلضم في أفعال..

ومن الأفعال الأقوال..

حين يغيب عن المسرح اسم..

يرث الدور بديل..

ممكن يُجعل نفس الاسم..

وبهذا المكياج كفيل..

الشاعر: لا يكاد الفتى يجهز،

إلا عن بديل، مكانه، مستناب.

الأحدب: ولهذا يرث الأحياء الأشياء في الموتى

تسعى الأشياء على هامات الموتى..

في الأقنعة بنفس الأسماء..

في نفس الأدوار..

بنفس الأزياء..

فنظن بأن الموتى ما زالوا أحياء..

وهنا الخدعة!

المعلم: كنت تطير

منذ هنيه..

الأحدب: كنت ولكني الآن..

ألعب دور الصياد..

المعلم: هل تصطاد الطير؟!

الأحدب: لا بل أعظ الطير..

كي يحذر حيل الصيادين!

الشاعر: إن الذين على وجه الثرى وطئوا

يشابهون أناسًا تحته دُفِنوا..

المعلم: ألهذا كان الشعراء قديمًا..

يصفون الصيد؟!

الأحدب: الشعراء طيور..

طوافون وجوابون..

وطريدون..

من خلفهم الصيادون..!

المعلم: قل من أنت الآن..

الأحدب: ها أنذا وطواط!

المعلم: أنت إذن ما زلت الطير..

الأحدب: بل ما عدت من الطير..

المعلم: لكن أنت تطير..

الأحدب: هذا وجه الشبه الأوحد..

بين الطير وبيني..

إني محض شبيه..

المعلم: تعني أنك ظل الطير..

الأحدب: هذا فعلًا ما أعنيه..

إني ألعب دور الطائر..

لكن مستترًا في الظلمة..

ظلمة أضواء المسرح..

ظلمة أوهام الشاشة..

ظلمة ظل خيال الظل..

قل ما شئت..

لكن لستُ بطائر..

إني ألعب!

أبو الفتح: لا يبعد الله مثلي

وأين مثلي أينا

لله قلعة قوم

فتحتها بالهوينا

إكتلت خيرًا عليهم

وكلت زورًا مينا.

المعلم: وإنا ذكرنا في بعض ذوات الأجنحة جنسًا حقير السمات، أسود الوجه والقفا والصفات، لا يألف إلا قبور الأموات، ولا يسعى إلا في الظلم والظلمات، ذو أذن ناتئة، وما هذه من صفات الطيور، وإنه يولد والطير لا تعرف إلا أن تحضن بيضها في الأعشاش والوكور، وأنه لا يقع في الشبك ولا في الفخوخ، وأنه يُمني كما يمني الرجل من الأنس، وإن كان شيطانًا فالظاهر أنه ممسوخ، لا يُسمع منه هديل، ولا يصبر حيث يصير، يغدو على الروضات متلصصًا، ويغدو للثمار مقنِصا، ميشوم الطلعة، مذموم النجعة، مرجوم البقعة، سئ الدار، قبيح الآثار، مؤذن بخراب الدار، أسود من قار، وأفسد من فار، لا يحسن به الانبساط، ولا يمكن معه الاحتياط، أخس خلق مخلوقات الله تعالى، وهو المسمى بالوطواط.

أبو الفتح: أنا ينبوع العجائب

في احتيالي ذو مراتب

أنا في الحق سنام

أنا في الباطل غارب

أنا إسكندر دار

في بلاد الله سارب

اغتدي في الدير قسيسًا

وفي المسجد راهب.

المعلم: أرنا بعضًا من ألعاب الوطواط..

الأحدب: ألعب دور الأعمى..

وانا أبصر إبرة..

في أكوام التبن!

ألعب دور أصم..

وأنا أسمع ما خلف الحيطان..

فالحيطان لها آذان!

ألعب دور الأبكم..

وأنا أعرف ألف لسان..

اليوناني..

والسرياني..

والعبراني..

والخِرفاني..

فبأي لسان ترغب أن أتكلم به؟!

الشاعر: استيقظ العرب وانبرى نبط

يحدثونك من أفواه أعراب!

المعلم: فلتتحدث بالعربية حتى نفهم..

الأحدب: يمكن أيضًا ألا تفهم..

لو أتكلم العربية..

بعد إعادة تبديل الأحرف..

في قائمة المعجم!

يمكن مثلًا أن أتكلم بالأرقام..

خمس × ست × سبع

كم بحسابك..

المعلم: بحسابي مئتان وعشره ؟!

الأحدب: لكن بحسابي عشره..

العشرة عندي حشره..

مثلًا.. مثلًا..

المعلم: ماذا تقصد؟!

الأحدب: هذي كلمة سر لا أفشيها..

حتى لو شنقوني..

المعلم: حتى لو شنقوك؟!

الأحدب: إني أشنق أيضًا لو أفشيها..

فمن الأفضل أن أحتفظ بصمتي..

إن الصمت هنا سيكون الثأر لموتى..

المعلم: هذا يعني أن الصمت كلام..

الأحدب: فابحث عن أصل التمثيل..

في التمثيل الصامت..

المعلم: أي النوعين الأقدم؟!

الشاعر: سكون خلت أسبق من حراك

فكيف بقولنا حدث السكون؟

المعلم: فلنفرض أن التمثيل الناطق..

سبق التمثيل الصامت..

ما ذا طرأ ففرض الصمت على المنطوق؟!

التمثيل المنطوق بذاته..

يحمل في داخله معنى الصمت..

عن شئ مخبوء!

هو"التمثيل"!

والآن لنفرض أن الصامت..

سبق الناطق..

لكن كيف؟!

هل كان الناس جميعًا خرسًا..

صمًا بكمًا؟!

أو لم يكن الناس..

عرفوا بعد "لغة"..

والتمثيل لغة؟!

فكيف يكون المسرح قبل وجود لغة؟!

أم كان الصمت لغة..

في ظل الصمت المفروض..؟

لكن ماذا فرض الصمت..

هل وجد التمثيل ليخترق الصمت المفروض..

وإذا صح فهل كان التمثيل الناطق..

أم كان الصمت التمثيل..

يخترق الصمت المفروض..

بالمصطلح اللغوي الأخرس..

بفنون الرمز..

ثم يجئ التمثيل الناطق..

بعد استقرار المصطلح الصامت..

ما الحاجة للتمثيل الصامت..

إن لم يك يسبقه الصمت..

سبق الصمت العزل

لما سبق السيف..

سبق لأن النطق بحر الموت..

فالناطق يفشي السر!

ما السر إذن غير جريمة..

وجريمة قتل..

أوزوريس!

ثم تجئ التمثيلية..

ثم تصم المأساة الهزلية..

كل الكرة الأرضية..

ثم يكون التمثيل الناطق..

كالتمثيل الصامت..

وككل الحيل الخدع المرئية..

والصوتية..

أقنعة يتخفى فيها القتلة..

في كل عصور التاريخ!

الشاعر: (والسر ليس بمخزون على أحدٍ

لكن تكاثر للأموال خُزّان)

المعلم: الوطواط يدق الباب..

وهو يدق..

فالبيت الآن خراب!

الوطواط يدق ولا أحد يفتح..

فأطَل من النافذة..تعلقَ الكصلوب..

من رجليه إلى سقف الفرفة..

يلعب دور مسيح لكن بالمقلوب.

الوطواط كما المشنوق..

يتأرجح قبل النوم..

نام الوطواط..

طار الوطواط مع الأحلام الوطواطية..

التلميذ: ماذا سوف يرى لو نام..

المعلم: قبل النوم يرى الوطواط العالم بالمقلوب..

أو ليس يرى في الظلمة..

في الحلم يرى ما كان يراه..

مقلوبًا..بالمقلوب..

التلميذ: إن كان يرى الأشياء بمقلوب المقلوب..

في أحلام..

فهو يراها بالمعدول!

المعلم: هذا ليس صحيح..

فالوطواط يرى المعدول..

حين ينام..

لكن بالعين المقلوبة..

فهو يراها بالمقلوب..

دومًا في حلم أو يقظة..

التلميذ: ظل الظل خيال الظل!

المعلم: فلنتقن فن التمثيل.

بالتمثيل بكل فنون الوطواطية..

الوطواط يلد..

ليس يبيض ككل طيور العالم..

ولنجعله يبيض..

دون جميع الثدييات!

أو لنبض!

التلميذ: لكن ماذا يخرج من بيض الوطواط ؟

المعلم: هذا مانتركه للحاوي..

التلميذ: هل تخرج منه أفاعي ؟!

المعلم: تخرج منه جميع خبائث هذا العالم..

حتى القردة..

التلميذ: قيل بأن القرد..

يأكل أول جوز الهند..

من آخره..

ما معنى هذي الفزورة ؟!

المعلم: "جوز" لفظ مجاز..

يعني بالمعكوس "الزوج"

بالعامية يغدو الزوج "الجوز"

والزوج الجوز ذكرا!

يأكل جوز الهند..

يعني يأكل ثمره..

والثمرة بالعامية تمره..

والتمرة رمز يعني عضو التذكير..

يعني هذا كله..

أن القرد مجاز..

فهو يقلد حتى الأنثى..

يأكل ذكرًا..

التلميذ: عدنا للتأنيث وللتذكير..

المعلم: للوطية! إن شئت الدقة في التعبيير..

وخلاصة هذا أن القرد..

يأكل جوز الهند..

من آخره..

أي من استه!

هذا جنس لست تراه..

إلا من منظار لواطه..

وبمرآة حدباء..

ومقعرة في وقت واحد!

هذا جنس مختار بالمقلوب..

يهوى النوم كما الوطواط..

برجليه إلى أعلى..

أو بالرأس إلى أسفل..

مثل البصلة!

الشاعر: رأيت خيال الظل أعظم عبرة

لمن كان في علم الحقائق راقي

شخوصًا وأصواتًا يخالف بعضها

وأشكالًا بغير وفاق

تجئ وتخفى بابة بعد بابةٍ

وتفنى جميعًا والمحرك باقٍ!

المعلم: هذا قول فيه تصوف..

لكن فيه التعرية لكل الظاهر..

ليس الأمر بأمر خلاف..

بين شخوص أو أصوات أو أشكال..

رب خلاف هو في السر وفاق!!

هذا يعني أن الشعب..

في عصر الظاهر بيبرس..

كان خبيرًا في فن التشبيه..

التلميذ: هل كان الظاهر "بيبرس"

بيبرس"الظاهر"

أم كام المملوك"الباطن"؟!

المعلم: هذا متروك للشراح..

شراح السير الشعبية..

المنسوخة والممسوخة..

وبشرط توفر حسن النية!

الشاعر: تشابه النجر فالرومي منطقه

كمنطق العرب والطائي مرطان!

التلميذ: كان للغربان ملك منهم رحيم بهم ويحسن إليهم، فمات في أحد الأيام، فاختلفوا فيمن يملكونه عليهم من بعده، وتحاسدوا وخافوا أن تقع بينهم العداوة، فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا:

غراب: لا نرضى بأحد من أهل الملك الذي كان فينا مخافة أن يعتقد أن المُلك إنما ناله وارث عن أبيه وأقاربه فيسومنا العذاب!

الآخر: أرى ترئيس رجل من أهل الورع والتقى.

التلميذ: وكان بالقرب منهم صقر قد كبر وخرِف وضعفت قوته عن الصيد وتناثر ريشه من قلة المعيشة فأقبل يكبر ويسبح ويظهر الخضوع والتورع فنادوا به خليفة. فلما تمكن منهم قوي جسمه ونبت ريشه وعادت قوته، فكان يأتي كل يوم ببعض الغربان فيخرج عيونها ويأكل أدمغتها، وأقام على ذلك مدة فلما دنت وفاته عمد إلى بعض أبناء جنسه فملكه عليهم فكان أشد منه وأعظم بلية، فندم الغربان على صنيعهم وكان ذلك سبب الخلاف والمنازعة!

الشاعر: وهل ينكر العقل أن يسيد

بالملك غانية عليهم

المعلم: هل نحكي قصة إبراهيم..

بالنص كما جاءت في العهد..

التلميذ: أما قبل وأما بعد:

حين اقتربت من مصر القافلة القدسية..

تحمل إبراهيم وساره..

وبها لوط وكثيرون..

صمت النصُ عليهم!

قال السيد إبراهيم..

أصغي ساره..

أنت جميله..

فإذا جئنا المصريين..

سيقولون بأني زوجك..

وسأقتل حتمًا.وتظلين..

بعدي حيه!

فدعينا نعلن أنك أختي..

باقي القصة معروف!

المعلم: وأصاب السيد خير..

من جراء الحلوة ساره..

التلميذ: لكن ثم سؤال..

ماذا فعل بتلك المدة لوط..

قبل رحيل القافلة إلى الأردن؟

الشاعر: ورجال الأنام مثل الغواني

غير فرق التأنيث والتذكير!

المهرج: الفرق بين آدم والخروف معروف

إن ابن آدم بعقله في الخطر محفوف

أما الغنم فاللي داخل وسطها فايز

لبن وزبده وبسطرمه وجلد وصوف!

المعلم: هل نحكي قصة يوسف..

لا داعي فهي قديمه..

الشاعر: تقادم عمر الدهر حتى كأنما

نجوم الليالي شيب هذي الغياهب

يهود باغي الحاج والليل مسلم

على كفره والأرض في زي راهب

تألف غي الناس شرقًا ومغربًا

تكامل فيهم باختلاف المذاهب

المعلم: فلنحك عن الفلاح..

والتمساح!

التلميذ: قفوا انظروا فلاح

مكسور ذليل منهان

جوه حنك تمساح

من سالف الأزمان

يا من رماك دهرك

في فم دا تمساح

قوللي على أمرك

وما دهاك ياصاح

لما بقيت لهفان

والسر منك باح

والدمع من عينك

يجري كما الطوفان

الفلاح: طول مدتي صياد

يا مين شال عني

في الصيد أنا معتاد

لما بقى فني

المعلم: من يفتينا في الأمر

أمر خلاص الفلاح؟!

"ضجة في الصالة..أنا..أنا..أنا"

بالترتيب..

نرجوكم وبكل هدوء..

حتى لا ينقلب نظام الحفل إلى فوضى!

واحد: لست أرى الفلاح!

المعلم: السيد أعور..

آخر: لست أرى التمساح!

المعلم: السيد أحول..

ثالث: لست أرى الفلاح ببق التمساح..

المعلم: السيد أعمش..

رابع: لست أرى الفلاح ولا التمساح..

المعلم: السيد أعمى..

خامس: التمساح ببق الفلاح..

المعلم: وطواط وابن الوطواطه..

التلميذ: من يفتينا؟!

من يتطوع منكم للفتوى؟!

واحد: هذا قدر الله ولا يفتى..

في قدر الله سوى الزنديق!

يونس كان بجوف الحوت..

بالمقدور ونجاه المقدور..

لا تتعجل فرج الله..

فما من بلوى إلا في اللوح المسطور..

المعلم: والفلاح؟!

واحد: لا تحملوا الهم فما يظلم حكم القلمِ

سادس: التمساح على ظهر الفلاح..

المعلم: هذا من رهط اللاطه..

سابع: الفلاح على ظهر التمساح..

المعلم: هذا من سبط"خياطه"!

المعلم: والفلاح؟!

واحد: امض على وجهك فإذا لقيت في طريقك رجلًا معه صبي صغير، يدور في الدور، حول القدور، يزهى بحيلته، ويباهي بلحيته، فقل له دلني على حوت مصرور، في بعض البحور، فخطف الحضور، يلدغ كالزنبور، ويعتم النور، أبوه حجر، وأمه ذكر، ورأسه ذهب، واسمه لهب، وباقية ذنب، ماله في الملبوس عمل السوس، وهو في البيت، آفة الزيت!

المعلم: في زي قاص، ونسك الشيخ إبليس!

هذا سوس لا يقع إلا في صوف الأيتام. وجراد لا يسقط إلا على الزرع الحرام، ولص لا ينقب إلا خزانة الأوقاف، ونذل لا يغير إلا على الضعاف، وذئب لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود، ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود، وقد لبس دنِيته، وخلع دِينيته، وسوى طيلسانه، وحرف يده لسانه.

-أبو الفتح-

فالهم فيه ثقل ومنه أصل السقم

وهل يطيق ناحل يحمل نصف الهرم

المعلم: والفلاح؟!

الواحد: أين الذين بنوا الهرم، وأين عاد وإرم، مزقتهم أيدي النوى والبين، ومضوا إلى حيث لا أين، فرحم الله من داوى أحزانه، بحسن خلق زانه، وصرف أتراحه، بما أراحه، وإذا كان المزاح، يذهب الأتراح، ويقوم في التفريح مكان الراح..

المعلم: والفلاح؟!

التلميذ: وأنتم معاشر الغربا وساير بني ساسان، من الأدبا فاركبوا غوارب الإلحاح، والبسوا دروع الوجوه الوقاح، وتعاموا مبصرين، وتطارشوا سامعين، وتعارجوا فالسبق لذي العرج، وتخارسوا فإن الخرس لسان الفرج، وكبوا على جلودكم الجلود المسلوخه..

المعلم: والفلاح؟!

الواحد: من كفاني برد الشتاء بجبه، أسكنه الله جنته الرحبه، ومن طراحني بطيلسان، حُشر مع الحور الحسان، ومن حياني بمُرطه فقد استكمل الزخرفة بشرطه!

المعلم: هذا رجل من أهل الله!

الثاني:"يغني" ما أحلاها عيشة الفلاح

مطمن قلبه ومرتاح

يتمرغ على أرض براح

والخيمة الزرقا ستراه

يا اخي ياه...إلخ.

التلميذ: يا اهل المغنى دمغنا وجعنا دقيقه سكوت لله، واحنا شبعنا كلام ماله معنى ياليل ويا عين ويا آه..

المهرج: طلعت موضه غصون وبلابل شابط فيها حزين، شاكي وباكي، وقال مش عارف يشكي ويبكي لمين، واللي جابت له الداء، والكافيه طرشه، ماهش سامعاه، يا اهل المغنى دمغنا وجعنا دقيقه سكوت لله!

حافظين عشره اتناشر كلمه نقل من الجورنال شوق وحنين وأمل وأماني وصد وتيه ودلال والله اتعاد واتزاد يا اخونا وليل ونهار هواه..

يا اهل المغنى دمغنا وجعنا دقيقه سكوت لله..

المعلم: والفلاح؟!

التلميذ: هذا رجل من أهل العلم..

الرجل: علينا أولا أن نبحث في أصل كلمة فلاح، ثم في أصل كلمة تمساح، ثم في إمكانية ابتلاع الفلاح للتمساح أو التمساح للفلاح، ثم الأسباب التي أدت إلى ابتلاع الفلاح للتمساح أوابتلاع التمساح للفلاح، ثم فيما إذا كان من الواجب أو الجائز أو المحتمل إنقاذ التمساح من الفلاح أو الفلاح من بق التمساح، ثم في الوسيلة إلى هذا أو ذاك من بين جميع الوسائل الممكنة والمحتملة والمجدية وغير المجدية..

المعلم: والفلاح؟!

الرجل: يجب أن نضع في الاعتبار اللغة التي يتحدث بها الفلاح أو التمساح..فالمرء مخبوء تحت لسانه كما قال الأولون. وموضع اللسان الفم..ونحن بصدد إخراج شئ من فم شئ..فالابتلاع أصلًا ابتلاع لغوي..مثلًا..مثلًا..يختلف كل من التمساح والفلاح من لهجة إلى أخرى ومن لغة إلى آخرى..مثلًا..لغة عدنان الممثلة بعد في المضرية..ظهرت على أخواتها بل على الحميرية في مواطنها..ولكننا لا ننس أن البيئة ونزوح الديار ووسائل المعيشة واختلاف المرئيات وتنوع طرق الوضع والارتجال كل ذلك أبقى في كلام كل قبيلة ميزات هي ما يسمى مجموع طرق الاختلاف فيما يأتي..الإبدال مثل إبدال الميم باء والباء ميم في لغة مازن فيقولون با اسمك بدلًا من ما اسمك..ومكر بدلًا من بكر..

المعلم: قياسًا على هذا يصبح التمساح"تبساح"..

الرجل: أرأيت كم اختلف الأمر..فهل تريدني أن أفتيك في خلاص الفلاح من فم التمساح أو خلاصه من(فب التبساح)؟!

المعلم: المسألة فعلًا لغوية وزكامية!

الرجل: من طرق الاختلاف بين اللهجات واللغات أوجه الإعراب مثل نصب خبر ليس عند الحجازيين ورفعه عند تيم!..ثم أوجه البناء والبنية كتسكين شين عشرة عند الحجازيين وفتحها وكسرها عند تميم

والتردد بين الإعراب والبناء كإعراب لدن عند قيس بن ثعلبة وبنائها عند غيرهم، ثم التصحيح والإعلال وما يشبهها كإعلال الأفعال الثلاثية عند طئ بقلب يائها ألفًا وكسرتها فتحة وغيرهم يصححها وكقلب الألف المتطرفة همزة عند تميم وغيرهم يبقيها على حالها، ثم الإتمام والنقص والإدغام والفك والترادف.

المعلم: الفك..هذا ما يعنينا وها هو الفلاح بين فكي التمساح أو التبساح..كما تشاء..فنرجوك أن تفتينا!

الرجل: ليس الأمر بهذه السهوله..

المعلم: كيف؟

الرجل: لكل لهجة من لهجات العرب عدا القرشية هنَة أو أكثر، واشتهر من هذه الهفوات عجعجة قضاعة وغمغمتها، وشنشنة اليمن ووتمهم، وطمطمانية حمير، وتلتلة بهراء، وفحفحة هذيل، وعنعنة تميم، وكشكشة أسد، أو ربيعة، ووهم كلب، ووكم ربيعة كلب، ولخلخانية الشحر وعمان، وقطعة طئ، واستنطاء سعد بن بكر، وهذيل الأزد وقيس والأنصار. ولما كانت الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية كانت صور الكلام الدالة عليها لا تزال كذلك متجددة خاصة لغة الاختراع والابتداع على حسب ما يقتضيه المقام..ولهذا يمكن جدًا بل محتمل جدًا أن يبتلع التمساح الفلاح حسب تقديم أو تأخير الفاعل والمفعول به..

التلميذ: هذا رجل مجذوب..

أو مكذوب..

فلعل لديه خلاصًا للفلاح!

المجذوب: أحلف بما بين الحرتين من حنش، ليهبطن أرضكم الحبش، أحلف بما بين أبين إلى حرش، أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، وليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن إلى ما بين أبين ونجران! أحلف أن التمساح، يأكل من ثمر التفاح، ويطير بغير جناح، ليل من غير صباح، أحلف بهذه التربة التي لا تذكي نارًا، ولا تؤهل أوارًا، ولا تسر حارا، عودها ضئيل، وفرعها كليل، وخيرها قليل، بلدها شاسع، ونبتها خاشع، وآكلها جائع، والمقيم عليها ضائع، أقصر البقول فرعا، وأخبثها مرعى، وأشدها قلعا، فتعسا لها وجدي!

المعلم: هذا سجع الكهان..

والكهان يحبون الإلغاز..

وخصوصًا حين يكون عن الفلاح..

محشورًا في بق التمساح!

...